دراسة في طبيعة المجتمع العراقي

www.ketab.ir

www.ketab.ir

هوية الكتاب

- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي
- الدكتور علي الوردي
- منشورات سعيد بن جبير / قم المقدّسة / هاتف ٧٧٣٥٤٦٤
- الطبعة الأولى / ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- عدد النسخ ٢٠٠٠
- ISBN:964-8793-08-5

جميع الحقوق مسجّلة ومحفوظة

د. علي الوردي
أستاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي

هل يختلف العرب عن غيرهم من الأمم
وهل يختلف أهل العراق عن غيرهم من العرب؟

www.ketab.iq

الإهداء

أقدم كتابي هذا إلىٰ الذين يشغفون بالأفكار «العالية» فيحاولون تطبيقها في مـجتمعهم بغض النظر عن طبيعة المجتمع وظروفه.

لقد آن لهم أن ينزلوا عن أبراجهم العاجية وأن يأخذوا بعين الإعتبار مـقتضيات الواقـع الإجتماعي الذي يعيشون فيه.

www.ketab.ir

المقدمة

إنّ هذا الكتاب الذي أقدمه بين يدي القارئ، والكتب التالية له، هي خلاصة دراسة طويلة شاقة. فقد بدأت بدراسة المجتمع العراقي منذ أكثر من عشرين عاماً. وازدادت هذه الدراسة تركيزاً منذ عام (١٩٥٠)، وهو العام الذي عينت فيه مدرساً لعلم الإجتماع في كلية الآداب والعلوم ببغداد...

ولابد لي من الاشارة هنا إلى أنّي تطرقت إلى دراسة المجتمع العراقي في بعض كتبي ومحاضراتي العامة، سابقاً، كما يلي:

(١) في عام ١٩٥١ ألقيت محاضرة عامة في قاعة «الملكة عالية» كان عنوانها «شخصية الفرد العراقي». وقد طبعت هذه المحاضرة بعد إضافة بعض الزيادات عليها في كتاب صغير حيث نشر في العام نفسه.

(٢) وفي عام ١٩٥٤، أخرجت كتاب «وعاظ السلاطين» حيث تطرّقت في فصوله الأولى إلى طبيعة المجتمع العراقي في صدر الإسلام، والى العوامل الإجتماعية التي أثرت في تكوين الشخصية فيه.

(٣) وفي عام ١٩٥٨، دعتني هيئة الدراسات العربية في جامعة بيروت الاميريكية الى إلقاء محاضرة عامة في موضوع «الضائع من الموارد الخلقية في البلاد العربية». وقد ركزت البحث في تلك المحاضرة حول أخلاق أهل العراق بوجه خاص. ونشرت المحاضرة في مجلة «الأبحاث» التي تصدرها الجامعة المذكورة، في شهر حزيران من العام نفسه.

(٤) وفي عام ١٩٥٩، اشتركت في مؤتمر علم الإجتماع العالمي الرابع الذي انعقد في مدينة «شتريزا»، في شمال ايطاليا، فقدّمت في المؤتمر بحثاً حول البداوة وأثرها في المجتمع العراقي، وقد أتيح لي حينذاك أن أناقش عالمين كبيرين من علماء الإجتماع حول البحث، واستفدت منهما فائدة غير قليلة.

www.ketab.ir

(٥) وفي عام ١٩٦٢. دعيت لحضور مهرجان ابن خلدون الذي عقد في القاهرة تحت إشراف المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية. فألقيت فيه محاضرة حاولت فيها دراسة نظرية ابن خلدون من حيث أهميتها في فهم المجتمع العربي بوجه عام، والمجتمع العراقي بوجه خاص. وقد نشر المركز تلك المحاضرة، مع بقية المحاضرات، في كتاب خاص، عنوانه «أعمال مهرجان ابن خلدون».

(٦) وفي عام ١٩٦٢ أيضاً، ألقيت عدّة محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة. وقد نشر المعهد تلك المحاضرات في كتاب عنوانه «منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته». وقد دعوت في الكتاب والمحاضرات إلىٰ ضرورة إنشاء «علم إجتماع عربي» يستمد جذوره من نظرية ابن خلدون، ويستعين بها في دراسة الظواهر الإجتماعية في البلاد العربية المختلفة.

قصدي من ذكر هذه البحوث السابقة هو لفت نظر القارىء إلىٰ أنّ الآراء التي وردت فيها لم تكن نهائية. فقد غيّرت البعض منها، وأبقيت البعض الآخر علىٰ حاله. وهذا أمر لا أعتذر عنه. فالبحث العلمي من شأنه التغيير والتطوير، إذ هو يسير في ذلك تبعاً لتغير المعلومات التي يعثر عليها الباحث مرّة بعد مرّة. ولهذا أرجو من القارىء أن لا يستغرب حين يجدني أقول في هذا الكتاب برأي مخالف جاء في بحوثي السابقة.

الواقع أنّي خلال دراستي الطويلة للمجتمع العراقي، قد ناقضت نفسي كثيراً. وربّما أخذت اليوم برأي وتركته غدا، ثم رجعت اليه بعد غد. وقد لاحظ الطلاب ذلك منّي، حيث وجدوني أغيّر منهج الدراسة في موضوع المجتمع العراقي عاماً بعد عام. ولست أستبعد بعد صدور هذا الكتاب أن أغيّر أن أغير كثيراً من الآراء التي وردت فيه. وربّما شهد القارىء في كتبي القادمة آراء مناقضة لها!

مراجع الكتاب:

أعتمدت في تأليف هذا الكتاب، والكتب التالية له، علىٰ مراجع شتىٰ يمكن تصنيفها علىٰ المنوال التالي:

(١) الكتب والمقالات والنشرات: وهذه قد توافر منها في الآونة الأخيرة عدد لا يستهان به.

www.ketab.ir

وأودّ أن أخصّ بالذكر منها تلك الرسائل العلمية التي قدّمها أصحابها لنيل شهادة الدكتوراه، وقد طبع بعضها ككتاب الدكتور فاضل الجمالي، وكتاب الدكتور متي عقراوي، وكتاب الدكتور شاكر مصطفىٰ سليم، وكتاب الدكتور محمد سلمان حسن، وغيرها. وهيَ كلّها تبحث في المجتمع العراقي علىٰ وجه من الوجوه.

(٢) تقارير الطلاب: فقد كنت أطلبها من الطلاب في موضوع المجتمع العراقي كلّ عام. فتراكم عندي منها علىٰ توالي الأعوام عدد كبير. لا أنكر أنّ بعض هذه التقارير كان تافهاً وليس فيه قيمة علمية كبيرة. ولكن البعض منها، وهو قليل طبعاً، يحتوي علىٰ ملاحظات واستقراءات إجتماعية نافعة. ولقد أتاحت لي هذه التقارير، علىٰ أي حال، أن أزداد تبصّراً في المجتمع العراقي عاماً بعد عام. فالطلاب يأتون إلىٰ الجامعة من شتىٰ أنحاء العراق، القريبة والبعيدة. ومنهم من جاء من البلاد العربية المختلفة. فكانت تقاريرهم عن تقاليد مناطقهم وقيمها الإجتماعية تنور الذهن، قليلاً أو كثيراً. وإنّي إذ أقدّم هذا الكتاب لابد لي أن أعترف بفضل هؤلاء الطلاب وعونهم في الحصول علىٰ كثير من المعلومات التي وردت فيه.

(٣) الندوة التلفازية: وهذه كنت أقوم بها في محطة تلفزة بغداد عام ١٩٦٠، وكان عنوانها «أنت تسأل ونحن نناقش». وقد وصلتني من جراء ذلك رسائل كثيرة يسألني فيها أصحابها حول بعض مشاكلهم الإجتماعية. وقد استفدت من هذه الرسائل فائدة غير قليلة، ولا أزال احتفظ بها، إذ اعتبرها مرجعاً لدراسة المجتمع العراقي. فهي تمثّل نوع المشاكل الإجتماعية التي يشكو منها بعض أهل العراق، لا سيما الجيل الجديد منهم، وما هو الصراع النفسي الذي يعانونه تحت وطأة تلك المشاكل.

ويؤسفني أن أقول: أنّ «المسؤولين» لم يرضوا عن تلك الندوة، ولم تلق هوىً في قلوبهم. فأمروا بإلغائها. وبهذا انقطعت عني الرسائل التي كنت استفيد منها[1].

(٤) ملاحظاتي الشخصية: فقد اعتدت منذ زمن غير قصير أن أتجوّل في نواحي المجتمع العراقي وأصغي إلىٰ أحاديث العامة، لا سيما المعمّرين منهم. وأولعت بذلك ولعاً شديداً.

---

(١) أجرت إحدىٰ الصحف البغدادية استفتاءاً حول أفضل ندوة تقدمها محطة التلفزة في ذلك الحين. فكانت نتيجة الاستفتاء: أنّها ندوة «أنت تسأل ونحن نناقش». ولم تمض علىٰ هذا الاستفتاء سوىٰ مدة قصيرة حتّىٰ الغيت الندوة بلا اعتذار. وليس هذا بالامر العجيب في هذا البلد «الامين».

www.ketab.ir

المحتويات

المقدمة ٤
الفصل الأوّل : صراع البداوة والحضارة ١١
الفصل الثاني : ماهي البداوة ٣٠
الفصل الثالث : البداوة ونزعة الحرب ٤٦
الفصل الرابع : أعماق الثقافة البدوية ٧٠
الفصل الخامس : العراق في العهد العثماني ٩٩
الفصل السادس : الصراع الثقافي في العراق ١٢٠
الفصل السابع : الحرب الدائمة في العراق ١٤٠
الفصل الثامن : تكوين الشخصية في الريف ١٦٢
الفصل التاسع : مظاهر التدين في العراق ١٨٧
الفصل العاشر : الوضع الإجتماعي في المدن ٢١٧
الفصل الحادي عشر : إزدواج الشخصية في المدن ٢٣٩
الفصل الثاني عشر : التفسخ الخلقي في المدن ٢٦٠
الفصل الثالث عشر : طبيعة المرحلة الراهنة ٢٨٥
خاتمة الكتاب ٣١٢

www.ketab.ir